نظريات النخبة السياسية في الفكر السياسي الغربي المعاصر

المدرس الدكتور
محمد إبراهيم فلفل
الجامعة الإسلامية ـ النجف الأشرف
Muhammed.filfil@gmail.com

The Elite Theories in Western Contemporary Political Thought

Lect. Dr.
Muhammed Ibrahim Filil ,Phd
The Islamic university college

الملخص:-

تعتبر نظريات النخبة السياسية دلالة واضحة وجلية، على شيء يتميز بالتفوق، ويؤكد أحد الآراء أن اعتبار التفوق الفكرة الأساسية في نظريات النخبة، تجعل منها نظريات لا تتفق مع فكرة المساواة ويجعل النخبة مختلفة عن الجمهور الذي يحكمه ميله الواضح للمساواة، طالما أن وجوده قائم على فكرة التضامن ومستند اليها. واذا كانت النخبة لا تتناسب مع المساواة، فذلك يرجع في اعتقاد (فيلفريدو باريتو)، إلى أن النخبة تقوم على عدم التكافؤ في القدرات الفردية في كل مجالات الحياة الاجتماعية، أما (توم بوتومور) فيرى أن الحاح نظريات النخبة على عدم تكافؤ المعطيات والمواهب الفردية، يعارض خطاً بارزاً من خطوط الفكر السياسي يميل الى القول ضمناً بتساوي الأفراد، فالأمر وفقاً لنظريات النخبة أمر نوعية وليس أمر عدد. ولا شك أن النوعية والعدد لا يتعارضان، بل يتكاملان؛ لأنهما يمثلان مظهرين لموضوع واحد، ولكن العدد من منظور النخبة يشكل عنصر اسناد بالنسبة للنوعية، فبقدر ما يكون عدد الأفراد كبيراً ستكون إمكانية العثور على متفوقين كبيرة دون أن يعني ذلك وجود علاقة حتمية بين العدد والنوعية. وتأتي أهمية هذه النظرية من بين النظريات السياسية من خلال التعرف على علاقة النخبة بالقوة السياسية وكيفية تنافس هذه المجاميع من النخب على الاستيلاء على مفاصل القوة السياسية، وعلى هذا الأساس ينطلق البحث من فرضية مفادها: (أن نظريات النخبة انفردت عن غيرها من النظريات السياسية في الفكر السياسي الغربي المعاصر لما لها من إمكانات تجعل تطبيق اقتراب النخبة من عملية صنع القرار السياسي، أمراً ذا فعالية تحليلية وقدرة تفسيرية عالية)، ولتطبيق صحة الفرضية، فقد قسم ابحث الى أربعة مطالب مع مقدمة وخاتمة، يتناول المطب الأول منه، مفهوم النخبة السياسية، أما أسس نظريات النخبة السياسية، فهذا ما يبحثه المطلب الثاني، أما المطلب الثالث فيناقش أنماط نظريات النخبة السياسية وفي المطلب الرابع فسوف يتناول تنقلات نظريات النخبة السياسية.

الكلمات المفتاحية: نظريات النخبة السياسية، الفكر السياسي.

Abstract:-

The political elite theories are considered as a clear guide about distinguished thing. one opinion confirms that the distinguishing of the basic idea of the elite theories make it theories don't agree with equity and made the elite different from the audience whose clear disre controls it to be with equity as long as that its existence is based upon on the solidarity idea.

The elite is based upon non-equity of the individual abilities in all the social life fields

That why the elite don't agree with the equity as (Filfredo Parito) thinks.

But (Tom Botomour) that the persisting of the elite theories on the non-equity of the results and the individual endowments-and this contracts with an eminent line of the political thought which stands with the individual equity impilitly. the matter according to the elite theories is a quality not equality. there is no doubt that quality and quantity do not contract each other by they complete each other as they represent two aspects of one subject. But quantity from the point of view of the elite vision forms a supporting element for the quality when there are so many individuals , the possibility to find distinguished people will be large and this means there is no real relation between the equality and quantity. this theory is so important among the political theories by knowing the relation of elite with the political force and how these groups of elite are competing to control on the political force joints. based upon this base the research sets off from which means : (the elite theories distinguished from the from the other of western political thought as it has the abilities to the application of the elite approach from making the political decision to be analytic activity with high interpreting ability. to apply the theory rightness , this research was divided into four parts as well as introduction and conclusion. the 1st part deals with the political elite concept , the 2nd part deals with bases of the elite theories , the 3rd part discuss the modes of the political elite theories and the 4th part will deals with the political elite movement.

Keywords: Theories in Western Contemporary, Political Thought.

المقدمة:ـ

تعتبر نظريات النخبة السياسية دلالة واضحة وجلية، على شيء يتميز بالتفوق، ويؤكد أحد الآراء أن اعتبار التفوق الفكرة الأساسية في نظريات النخبة، تجعل منها نظريات لا تتفق مع فكرة المساواة ويجعل النخبة مختلفة عن الجمهور الذي يحكمه ميله الواضح للمساواة، طالما أن وجوده قائم على فكرة التضامن ومستند اليها. واذا كانت النخبة لا تتناسب مع المساواة، فذلك يرجع في اعتقاد (فيلفريدو باريتو)، إلى أن النخبة تقوم على عدم التكافؤ في القدرات الفردية في كل مجالات الحياة الاجتماعية، أما (توم بوتومور) فيرى أن الحاح نظريات النخبة على عدم تكافؤ المعطيات والمواهب الفردية، يعارض خطاً بارزاً من خطوط الفكر السياسي يميل الى القول ضمناً بتساوي الأفراد، فالأمر وفقاً لنظريات النخبة أمر نوعية وليس أمر عدد. ولا شك أن النوعية والعدد لا يتعارضان، بل يتكاملان؛ لأنهما يمثلان مظهرين لموضوع واحد، ولكن العدد من منظور النخبة يشكل عنصر اسناد بالنسبة للنوعية، فبقدر ما يكون عدد الأفراد كبيراً ستكون إمكانية العثور على متفوقين كبيرة دون أن يعني ذلك وجود علاقة حتمية بين العدد والنوعية. وتأتي أهمية هذه النظرية من بين النظريات السياسية من خلال التعرف على علاقة النخبة بالقوة السياسية وكيفية تنافس هذه المجاميع من النخب على الاستيلاء على مفاصل القوة السياسية، وعلى هذا الأساس ينطلق البحث من فرضية مفادها: (أن نظريات النخبة انفردت عن غيرها من النظريات السياسية في الفكر السياسي الغربي المعاصر لما لها من إمكانات تجعل تطبيق اقتراب النخبة من عملية صنع القرار السياسي، أمراً ذا فعالية تحليلية وقدرة تفسيرية عالية)، ولتطبيق صحة الفرضية، فقد قسم ابحث الى أربعة مطالب مع مقدمة وخاتمة، يتناول المطب الأول منه، مفهوم النخبة السياسية، أما أسس نظريات النخبة السياسية، فهذا ما يبحثه المطلب الثاني، أما المطلب الثالث فيناقش أنماط نظريات النخبة السياسية وفي المطلب الرابع فسوف يتناول تنقلات نظريات النخبة السياسية.

المطلب الأول

مفهوم النخبة السياسية

تدل كلمة النخبة في اللغة العربية على معنى الخلاصة، فيقال صفوة الشيء، أي

خلاصته وخياره، ويقال اصطفاه، أي أختاره، والنخبة من الماء ونحوه، تعني القليل وانتخب الشيء أختاره والنخبة ما اختاره ونخبة القوم خيارهم، والأنتخاب هو الاختيار والانتفاء ومنه النخبة وهم جماعة تختار من الرجال، ويشير المصطلح (elite)، في اللغة الإنكليزية الى جماعة وجزء منها أختير أو نظرا إليه على أنه الأفضل والأكثر نفوذاً وقدرة [١].

وهو مصطلح فرنسي من أصل لاتيني يشتمل معناه الحرفي على عدة مفاهيم منها، الأقلية المنتقاة وافضل جزء من الشيء والطبقة العليا، واستعمل في القرن السابع عشر لوصف سلع ذات مزايا معينة، وفيما بعد للإشارة الى فئات متميزة كالنبلاء والعسكريين، المصطلح لغوياً اسم جمع يطلق على من يشغلون مراكز عليا في المجتمع لما يتفوقون به على غيرهم من صفات حقيقية أو مزعومة[٢]. ونظراً لاستخدام خلال قرون طويلة، وفي بيئات حضارية وثقافية مختلفه فقد اتسم الحوار السياسي حوله ببعض التشويش وعدم الوضوح، وتمثل ذلك في الاستعانة بمصطلحات متباينة لتدل على معنى النخبة، واحياناً أخرى استخدم مصطلح النحبة نفسه في أكثر من معنى، كما يلاحظ في كتابات (موسكا، باريتو، ماركس، ميشيل)، وانصار التعددية، وتبدو أهمية التفرقة بين كل الألفاظ والمعاني، في أن المصطلحات ليست مترادفة، وإنما لكل منها معنى محدد يختلف عن الآخر، من امثلة ذلك: الطبقة الحاكمة، الاستقراطية، الأوليغارشية، الطبقة السياسية. يستخدم المصطلح على مستويين، الأول، للتمييز بين النخبة في مجتمع ما وبين الجماعات الأخرى التي لا تتميز بالصفات نفسها، والثاني، بتصنيف الشرائح المختلفة داخل النخبة نفسها الى نخبة حاكمة وأخرى غير حاكمة تتوخى النخبة الحاكمة عادة جانب الحذر في انتقاء العناصر الموهوبة الصاعدة تفادياً لظهور معارضة قوية، واحياناً تختار كل العناصر من بين صفوفها لأعدادها المشاركة في السلطة، ثم للحلول محلها فيما بعد، وتزعم المذاهب العنصرية او الطبقية أن مثل تلك القدرات الفردية العالية وراثية[٣]. اسهم في معالجة الفكرة عالم السياسة الإيطالي موسكا، الذي لم يستعمل مصطلح النخبة واعتبر كل الحكومات بغض عن تركيبها خاضعة لسيطرة ما بحكم الثروة أو المهارة أو أداء الوظائف التقليدية استخلاصاً من دراساته التاريخية المقارنة لمؤسسات السياسية، أكد أن الأغلبية لم تحكم ابداً وانما كانت خاضعة دائماً للأقلية، وفيه الى أن أحسن انماطها هي الأقلية المفتوحة التي تجدد نفسها لكن مصطلح النخبة لم يستخدم على نطاق واسع في الكتابات السياسية والاجتماعية، الا بعد عام

(١٩٣٠م)؛ وذلك عبر نظرية النخبة لعالم الاقتصاد والاجتماع الإيطالي باريتو[٤]. ويستخدم مصطلح النخبة بشكل عام للإشارة الى فئات هي في الواقع ذات وضع رفيع في المجتمع، وتمارس السلطة أو التأثير السياسي، وتدخل في صراعات مباشرة في سبيل القيادة، وتضم هذه الفئات أعضاء الحكومة والإدارة العليا والقادة العسكريين، كما تضم في بعض الحالات العائلات ذات النفوذ السياسي من ارستقراطية، او البيت الملكي، وقادة المؤسسات الاقتصادية القوية، وقد تشمل النخب المضادة المؤلفة من قادة الأحزاب السياسية المعارضة وممثلي مصالح وطبقات اجتماعية جديدة كقادة النقابات وفئات من رجال الاعمال والفكر. وتقوم الفكرة الأساسية للنخبة، على وجود أقلية صغيرة في كل المجتمعات البشرية، وبغض النظر عن نوع الحكومة القائمة، تضطلع بدور كبير في اتخاذ القرارات السياسية، وتهمين على عملية التخصص الا كراهي للقيم وبيدها مقاليد الأمور، كما أن هناك فئة محكومة كثيرة العدد من الجماهير تطيع أوامر وتنفذ قرارات الأقلية كنتيجة حتمية لبناء القوة في أي مجتمع، هذه الفئة القليلة العدد قد تحظى بمكانتها ليس نتيجة للأنتخابات العادية، وانما لعوامل أخرى كالانقلابات العسكرية أو التقاليد الدينية أو احتكار السلطة او ما شابه ذلك ان رجل النخبة يتميز بتفوقه الشخصي او المكتسب، لأن هنالك شيء واحد أكيد هو فردية التفوق الذهني والأخلاقي، فلا يوجد الا افراد نخبة، وبقدر ما يتميز رجل النخبة بادراكه لواحديته تتميز علاقته مع المجموعات الاجتماعية بالدقة لان هذه العلاقة تطرح قضية الفرد مقابل المجتمع، وهي قضية يسهل حلها بالقياس الى قضية الفرد مقابل الدولة [٥]. وتتجلى فردية رجل النخبة عبر الطريقة التي يتكون بموجبها، إذ لا يتم خلقه وانما يخلق نفسه بنفسه، فهو لا يمكن أن يكون مؤسساً بموجب تفويض، لأن الشخص الأعلى من الناحية التدريجية ليس بالضرورة مؤهلاً لاختيار الأفضل من بين اتباعه، كما لا يمكن أن يكون مؤسساً بموجب انتخاب، طالما أن قانون الأكثرية هو بالدرجة الأساسية قانون ذو طبيعة كمية، وأن الجمهور ليس مؤهلاً لتلمس وتقبل النوعيات الإنسانية، وان رجل النخبة يبدأ بالانعزال بخصائصه من أجل أن ينفصل عن الجمهور، وهذا الانعزال بالخصائص النوعية هو الشرط الضروري لكل عمق في الفكر والشخصية على حد قول (جون ستيورات ميل)[٦]. أن موضوع النخبة كان مثار جدل نظري وأيديولوجي ومنهجي، فالمفهوم الأساسي للنخبة الذي وضعه كل من (موسكاوباريتو)، في أوائل القرن العشرين، باعتبار أن كل مجتمع يتقسم دائماً الى جماعة

حاكمة صغيرة العدد، وأخرى محكومة أكبر من الأولى، وأطلق موسكا على الفئة الصغيرة العدد اصطلاح (الطبقة السياسية)، وباريتو (الطبقة الحاكمة)، وتمييزاً لها عن النخبة غير الحاكمة ونظر اليها كل منهما على أنها أقلية يتمتع أفرادها بالموهبة والثروة، أي إنهم الأفراد المتفوقون. وهناك تعريفان للنخبة لدى (باريتو)، أحداها تعريف واسع يغطي عموم النخبة الاجتماعية، والآخر ضيق يختص بالنخبة الحكومية. والتعريف الواسع للنخبة عند باريتو يجعل العدد الصغير من الأفراد الذين نجحوا كل في مجال عمله وبلغوا مستوى عالي ضمن التدرج المضي جزءاً من النخبة(٧). ويمكن القول مع الفرنسي (ريمون آرون)، أن النخبة عند باريتو تتكون من أولئك الذين استحقوا علامات تقدير جيدة في مجرى الحياة، او حصلوا على أرقام جيدة في يا نصيب الوجود الاجتماعي(٨). ويستخدم باريتو هذا التعريف الواسع من الناحية العملية ليكون مدخلاً الى التعريف الضيق للنخبة الحكومية التي تضم عنده عدداً صغيراً من أفراد النخبة، ممن نجحوا في ممارسة الوظائف السياسية أو الوظائف القيادية من الناحية الأجتماعية. وذلك سنكون في كل مجتمع أمام شريحتين اجتماعيتين أحداهما، شريحة دنيا ليست من النخبة، وشريحة عليا هي النخبة التي تتقسم حسب (باريتو) الى قسمين هما: النخبة الحكومية والنخبة غير الحكومية. وتتميز المجتمعات عند باريتو بدلالة طبيعة النخب فيها وبشكل خاص النخب الحكومية، كما أن كل المجتمعات في الواقع تمتلك خاصية يكون عالم الفكر ملزماً بملاحظتها على الرغم من أن الأخلاقي يحكم بأنها مؤسفة وتتمثل هذه الخاصية في التوزيع غير المتكافئ في العالم للثروات وعناصر الهيبة والاقتدار والشرف المرتبطة بالمنافسة السياسية، والذي يبدو ممكناً ان كان العدد الصغير يحكم العدد الكبير في نهاية الأمر، ويتحكم به باستخدام نوعين من الوسائل هي: القوة والخديعة (٩). فالجمهور يترك نفسه للنخبة لتقوده، لأن هذه الأخيرة تمسك بوسائل: القوة أو الاقناع أو كليهما معاً، أي أنها تستطيع دائماً بشكل أو آخر اكراه العدد الكبير أو خداعة، وتكون الحكومة شرعية بقدر ما تنجح في اقناع المحكومين بأنها متطابقة مع مصالحهم وواجبهم وشرفهم في أطاعة العدد الصغير(١٠). وهذا التميز بين وسيلتي الحكم (القوة والحذيقه)، هو استلهام كما قال به (ميكافيلي)، عن التعارض المشهور بين الأسد والأرنب، فالنخب السياسية تتقسم بشكل طبيعي الى عائلتين، احدهما تستحق أن تدعى بعائلة الأسود وتتميز باللجوء الى القوة والأخرى هي عائلة الأرنب وتتميز بالرقة. تعتبر نظرية النخبة السياسية

من اهم موضوعات علم السياسة، ولأن الشواهد التأريخية وواقع المجتمعات السابقة والمعاصرة، تتميز بوجود اقلية حاكمة محتكرة لأهم المناصب السياسية والاجتماعية، وبيدها مقاليد الأمور، وأغلبية محكومة منقادة وليس لها صلة بصنع القرار السياسي بشكل عام. اسهم (كارماركس وماكس فيبر)، في تطور النظريات السياسية وصلة ذلك بالمجتمع، الا أن تطور هذه النظرية قد وجه سهام النقد للنظرية الاشتراكية فضلاً عن النظريات الديمقراطية، لأن نظرية النخبة تشكك بالصحة العلمية لكلا النظريتين، وتبني تحليلها للنظام السياسي، انطلاقاً من حقيقة القلة الحاكمة والأغلبية المحكومة [١١]. من رواد نظرية النخبة العالم (باريتو)، وهو يرى أن النخبة هم أولئك الذين يتفوقون في مجالات عملهم في (مباراة الحياة)، وحين يجد أن هذا التعريف مستوفي يستدرك الأمر وينتقل الى المجال الأضيق في تعريف النخبة، فيقوم بربط مفهوم النخبة الاجتماعية بقدرة هؤلاء المتفوقين على ممارسة وظائف سياسية أو اجتماعية، تخلق منهم طبقة حاكمة ليست بحاجة الى دعم وتأييد جماهيري (لأنها تقتصر في حكمها على مواصفات ذاتية تتمتع بها، وهذا ما يميزها ويؤهلها لأحتكار المناصب. يضيف الرائد الثاني (موسكا)، على تعريف (باريتو)، قائلاً أن من أهم أسباب تميز الطبقة الحاكمة عن الطبقة المحكومة - وهو هنا لا يأخذ بالمدلول الماركسي لمعنى الطبقة - هو قوة تنظيم الأولى ووجود دافع وهدف معين تسعى اليه في مواجهة أغلبية غير منظمة، الا انه يؤكد على أهمية اعتماد طبقة الحاكمين على موافقة ورضى الجماهير[١٢]. وهذا الطرح يقرب ما بين نظرية النخبة السياسية الديمقراطية عكس ما انتهى إليه باريتو. انطلق الرائد الثالث (ميشيال روبرتو)، في تعريف النخبة السياسية من خلال واقع عمل الأحزاب السياسية، ليكتشف بأن هناك عوامل متباينة تحدد طبيعة عمل التنظيمات بدءاً من الحزب الى الدولة، فهو يرى أن النشأة الديمقراطية للأحزاب تتحول بمرور الزمن الى تنظيمات خاضعة الى حكم قلة من الأفراد، لأن التنظيم يحتاج الى أقلية منظمة[١٣]. وهذه الأقلية تستحوذ على السلطة من خلال موقعها في مركز اتخاذ القرار، وهو ما يسمى بالأقلية الذي لم يلتفت إليه ماركس في دراساته السياسية [١٤]. الرائد الرابع (رايت ميلز)، ومن خلال دراسته لمجتمع الولايات المتحدة الأمريكية، فقد ربط بين النخبة وقدرتها على التحكم بموقع اتخاذ القرار، فهي نتاج للبناء المؤسساتي للدولة، وقد وجد أن مؤسسات ثلاث هي المتحكمة في أمريكا، وهي العسكرية والسياسية والشركات الكبرى، وهذا معناه أن النخبة

تتشكل من أولئك الذين يشغلون مواقع قيادية في هذه المؤسسات [١٥]. ويؤكد (بوتومور)، في كتابه (النخبة والمجتمع)، أن (رايت ميلز)، متأثر في تعريفه بضغوط الصراع العالمي التي شغلت أمريكا في عصره [١٦].

المطلب الثاني

أسس نظريات النخبة السياسية

إن المجتمعات الإنسانية تعرف مجموعة من الصراعات لأجل احتكار السلطة والأشخاص الذين يتمكنون من الفوز في هذه الصراعات بفضل مواقعهم الاجتماعية أو قوتهم يشكلون ما يسمى النخبة وان محاولة تصنيف أسس نظريات النخبة، ينتهي تقسيمها الى ثلاثة أسس:-

الأساس الأول: نظريات النخبة القائمة على أساس السلطة.

ويقد بها كل النظريات الميكافيلية الجديدة حول النخبة الحاكمة، بالإضافة الى كتابات الباحث الأمريكي (رايت ملز)، رغم اختلافاته الأيديولوجية الواضحة مع الأوائل. يتعلق الأمر هنا بالخصوص بالنظريات التي تقسم المجتمعات الإنسانية بصفة عامة الى نخبة قليلة العدد تمارس السلطة والحكم وجماهير غفيرة مغلوب على أمرها، ولا تملك أي تأثير على الحياة السياسية حيث تضطر للخضوع خوفاً من القمع، أو تحت تأثير وسائل السلطة التي تستعمل من طرف النخبة الحاكمة. وهكذا يستخلص من نظريات النخبة هذه أن النخبة مجموعة مقفلة تتمتع بمجموعة من الخصائص الروحية والاجتماعية والسياسية المحددة، كما أنها تشكل شريحة اجتماعية محظوظة مهيمنة ومقبولة من طرف الجميع بصفتها هذه، وحتى حين تحصل تحولات داخل المجتمع وتؤثر على أنماط الحكم وأشكاله، فإن مجموعة من علاقات السلطة يظل محتفظاً بها حيث لا يؤثر ذلك على طبيعة أعضاء النخبة، حتى ولو تم تغيير الأشخاص[١٧]. أن كل الميكافليين الجدد (روبير ميشلز صاحب كتاب الأحزاب السياسية على سبيل المثال)، بالإضافة الى (رايت ميلز)، يلحون على كون النخبة تضم مجموعة من الأشخاص الحقيقيين والذين يدركون تماماً مواقعهم ومصالحهم الخاصة ويعملون جاهدين من أجل استمرارها والحفاظ عليها، مما يجعل منهم مجموعة ملتحمة ومنسجمة تملك وعياً واضحاً بذلك. وبالمقابل فإنهم يؤكدون بأن الجماهير المحكومة تقسم في غالب الأحيان

بغياب الاجتهادات الفردية وبالسلبية التامة وهذا ما يسهل عمل النخبة الحاكمة، وهذا ما يعبر عنه (رايت ميلز)، بوضوح حيث يربط ظهور النخبة الحاكمة بوجود مجتمع جماهيري سلبي وغير متميز [١٨].

الأساس الثاني:- نظريات النخبة القائمة على أساس أخلاقي قيمي

أن تحديد هذه النظرية يبدو أكثر صعوبة، إذ يتعلق الأمر أما بنظريات فلسفية وأخلاقية ترفض التمييز بين أحكام الواقع واحكام القيمة، وتجتهد من أجل تحديد مفهوم النخبة في معناه اللفظي الذي يقابل عندها أيضاً مفهوم (أرستقراطي)؛ وذلك بالتركيز على المزايا والصفات التي تخول لصاحبها صلاحية ممارسة الحكم[١٩]. وتجسد هذه النظريات الفلسفة السياسية الكلاسيكية (الافراطونية والارسطية)، ثم أصبحت تجسدها منذ الثورة الفرنسية نظريات محافظة، كما هو الشأن لآراء (تين ورينان)، أو يتعلق الأمر ثانياً، بنظريات تقوم بنفس العملية، أي ترفض ايضاً التمييز بين احكام الواقع وأحكام القيمة، ولكن انطلاقاً من دراسة حالات مجتمعات معينة محاولة اظهار القيم المعمول به ومحددة من خلال خصائص النخبة التي تجسد هذه القيم وتحددها، وتكون بذلك جديرة بممارسة الحكم، ويمثل هذا الاتجاه على الخصوص (كارل مانهايم)، أو يتعلق الأمر أخيراً بنظريات، ترى أن النخبة هي مجموعة من الافراد يملكون أقصى ما يمكن امتلاكه من قيمة معينة، وهي بالخصوص السلطة او النفوذ ويمثل هذا الاتجاه رواد المدرسة الإيطالية (موسكا وباريتو)[٢٠]. (تين ورينان) يعيدان الاعتبار بالاستناد على معطيات العلم الحديث (الانتقاء الطبيعي مثلاً) لمفاهيم كلاسيكية: اللاتكافؤ بين المقدرات الثقافية والأخلاقية لمختلف شرائح المجتمع، مشكلة بذلك نخبة حقيقية بفضل إمكانية حصولها على تربية ثقافية واخلاقية وسياسية عميقة، نظراً للتقاليد التي ورثتها ولوقت الفراغ الذي تتوفر عليه، إضافة الى إمكاناتها المادية، دون أن ينسى (رينان)، مع ذلك، أن يذكر بضرورة ترك الأرستقراطية القديمة الفرصة لأرستقراطية جديدة هي الأرستقراطية العلمية، أي تلك التي يتشكل أعضاؤها من خريجي المدارس الكبرى للعلوم السياسية، الا أن هذا لا يمنع (تين ورينان)، معاً من القول بأن القضاء على الارستقراطية بعد قيام الثورة الفرنسية كان أحد الأسباب الرئيسة التي أدت الى ظهور كل المشاكل الكبرى التي عانت منها فرنسا خلال القرن التاسع عشر[٢١]. أما (كارل مانهايم)

على طلاق المفكرين الفرنسيين السابقين لا يبدي اعجابه بالنظام السياسي السابق، الذي تخلفه كانت تحتكر فيه الارستقراطية مواقع النخبة، ولكنه يبدي أيضاً قلقة على الفراغ السياسي الذي الارستقراطية بعد اختفائها. فقد أدى سقوطها الى ظهور النظام الديمقراطي وسيادته، الا أن ذلك كان مصحوباً بنزعة نسبية متصاعدة وبتعدد كبير في القيم يصل احياناً الى حد التناقض فيما بينها. وأمام هذه الوضعية أصبح مشكل النخبة يطرح بشكل حاد ومغلق اذا كيف يمكن تحديد قيم الانتقاء التي سنستخلص بواسطتها النخب التي ستعطي بدورها للمجتمع توجاته الجديدة إن عمل (كارل ما نهايم) هو في الحقيقة تعبير عن الشكوك التي تخامر المثقف نظراً للأخطار التي أصبحت تحدق بالمجتمع بفعل غياب نظام القيم السياسية والثقافية والروحية بصفة عامة والذي كان من نتائجه تشتت النخبة وتفسخها. أن (كارل مانهايم)، يأمل في قدوم نخبة ثقافية جديدة حاملة للتخطيطات الجديدة ولتنظيم جديد للحياة الاجتماعية، وهو ما يميز داخل هذه النخبة المنتظرة بين النخبة التنظيمية التي ستقوم بوظيفة ادماجية، أي ستعمل على ادماج المجتمع في منظومة أخلاقية وقيمية واحدة، ثم النخب الثقافية والغنية والأخلاقية والدينية التي ستقوم بوظيفة تصعيدية (بالمعنى الفرويدي)، فإن ما يميز هذه النخب كلها، حسب تصور (كارل مانهايم)، هو قدرتها على خلق وتجسيد قيم جديدة تعبر عن المجتمع الجديد وتعمل في نفس الوقت على توجيهه [٢٢].

الأساس الثالث: نظريات الناخبة القائمة على أسس وظيفية

أي ان هذه النظرية ترى أن الذي ينتمي اليها، لابد أن يوجد في الوضعية المؤسساتية الملائمة وان يتوفر على الخصائص والمقدرات الضرورية. ومن هنا يتضح أن الأمر لا يتعلق بالنخبة السياسية فقط، بل بمجموع النخب الموجودة داخل المجتمع. فالانتماء الى نخبة معينة مشروط بالانتماء الى الحقل العام الذي توجد فيه النخبة (بمعنى أنه لا يمكن مثلاً، أن ينتمي شخص بعيد عن مجال الفكر والثقافة الى النخبة الفكرية)[٢٣]. وتبعاً لهذا التحليل، فإن النخبة السياسية تعتبر بمثابة نخبة الى جانب النخب الأخرى، تقوم بوظيفة الوساطة بين السلطات العليا ومجموع الشعب وهذا يظهر إذن العمل السياسي هو مجرد وظيفة عادية الى جانب باقي الوظائف الممارسة داخل المجتمع وباختصار فان أصحاب هذه النظرية يميلون الى القول، بأن المكانة التي أصبحت تحظى بها النخبة السياسية داخل المجتمع راجع للحجم

الكبير الذي أصبح للبيروقراطية داخل المجتمعات الحديثة. فكما أن الماركسيين كانوا يرون بأن المجتمع الضاعي المتشكل في اغلبيته من الطبقة العاملة يقتضي أن يسلم الحكم لهذه الطبقة، وهذا تدبير لمقولة ديكتاتورية البروليتاريا، فأن سيادة البيروقراطية وازدياد حجم الموظفين داخل المجتمعات الحديثة يقتضي ان يمارس الحكم من طرف النخبة البيروقراطية[٢٤]. ولقد أشار (توم بوتومور)، الى استخدام مصطلح النخبة للشارة بشكل عام الى فئات ذات وظائف تميزها بوضع رفيع في المجتمع وهذه النخبة الوظيفية المتخصصة هي ما ندعوه بالنخبة التكنوبيروقراطية التي تنقسم بدورها إلى قسمين[٢٥]:

القسم الأول:- يتميز بأنه يمارس وظيفة سياسية خالصة في إطار تنظيم سياسي محدد مما يسمح له بممارسة تأثير مباشر في الحياة السياسية عبر ممارسته لهذه الوظيفة ولا يهم بعد ذلك أن يكزن التنظيم السياسي الذي تمارس النخبة التكنوبيروقراطية السياسية وظيفتها فيه داخل الحكم أو خارجه أو أن يكون مؤيداً للحكم أو معارضاً له وتتألف هذه النخبة من قادة الأحزاب وممثلي المصالح أو الطبقات الاجتماعية الجديدة كقادة النقابات الذي ينقسمون بدورهم داخلياً إلى فئات تدخل في درجات متفاوتة من التعاون والتنافس بينها وسندعو هذا القسم من النخبة التكنوبيروقراطية بالنخبة البيروقراطية.

القسم الثاني:- يتميز بأنه يمارس وظيفة فنية خالصة في اطار تنظيم سياسي محدد مما يسمح له بممارسة تأثير غير مباشر في الحياة السياسية عبر ممارسته لهذه الوظيفة، وسندعو هذا القسم من النخبة التكنوبيروقراطية بالنخبة الإدارية البيروقراطية ونختصرها في التكنوقراطية.

المطلب الثالث

انماط نظريات النخبة السياسية

ميزت كثير من الدراسات بين نماذج متعددة من النخب السياسية، طبقاً للعلاقات المدنية والعسكرية والخلفية المهنية والتعليمية والمكانة الاجتماعية، والواقع أن مثل هذه التقسيمات تختلف باختلاف المجتمعات موضع الدراسة ودرجة تطورها كما أن التمييز يشكل قاطع بين الأنماط المتعددة للنخب السياسية غير وارد في الواقع العملي، نظراً لما بينها من تداخل وتشابك وعلاقات شديدة التعقيد فبعض الشرائح أو الطبقات الاجتماعية مثل

الرأسماليين أو كبار الملاك قد تفرز نخبة من المثقفين او البيروقراطية، كما أن مديري المشروعات قد يكونون من كبار ملاك الأراضي أو الرأسماليين الذي يملكون تلك المشروعات[٢٦].

ويمكن تقسيم انماط النخبة السياسية الى نوعين رئيسيين:

الاول: نخبة مدنية سواء كانت من رجال الدين أو المثقفين أو البيروقراطيين أو مديري المشروعات الصناعية أو كبار ملاك الاراضي، حيث تهيمن واحدة أو أكثر من هذه الفئات على مركز صنع القرار ويلاحظ أن هذه النمط يسود بصفة عامة في المجتمعات التي قطعت شوطاً كبيراً من مراحل النمو كما هو الحال في المجتمعات الأوروبية والأمريكية.

أما النمط الثاني: هو النمط العسكري حيث تسيطر المؤسسة العسكرية على المراكز الرئيسة في المجتمع، وهذا النمط النخبوي شائع في دول العالم الثالث أو الدول المتخلفة وبشكل خاص في دول أمريكا اللاتينية والقارة الأفريقية.

أولاً: النمط المدني للنخبة السياسية

في هذا النمط تعمل المؤسسة العسكرية وفق ميكانزمات محددة بواسطة المدنيين، كما هو الحال في الديمقراطية الغربية، ويتحدد دور النخبة في هذه الحالة من خلال تفاعلها مع التغييرات التي يشهدها المجتمع والآثار التي تطرحها تلك المتغيرات، فبعض النخب قد يمكنها التكيف بدرجة أو بأخرى مع هذه المتغيرات، والبعض الآخر لا يمكنه ذلك، وبينما تتكون نتاجات جديدة كناتج لعملية التغيير، فإن نخباً أخرى تحاول السيطرة على الآثار الناتجة عن عملية التغيير، وسوف نحاول هنا القاء الضوء على بعض فئات النخبة المدنية، وان كان بعضها صحيح قد لا يتولى السلطة بشكل مباشر، رغم تأثيره المهم على مركز صناعة القرار في المجتمع.

١- المثقفون: وتعرف كذلك باسم (الانتلجنسيا) باللاتينية، وهم طبقة اجتماعية تشارك في عمل ذهني معقد يهدف إلى توجيه ونقد، أو لعب دور قيادي في تشكيل ثقافة المجتمع وسياسته[٢٧]، وقد تشمل الانتلجنسيا الفنانين ومعلمي المدارس، الأكاديميين والكتاب والصحفيين وغيرهم، ممن يطلق عليهم بشكل واسع (مثقفين)، ودورهم يكون في

تنمية المجتمع وهو محط جدل واسع، ولم يكن ايجابياً في حالات تاريخية كثيرة قد يساهمون بدفع المجتمع إلى مستويات تقدم كبيرة، وقد يلعبون دوراً في تعزيز حركاته المختلفة[٢٨] ظهرت هذه الطبقة بمعناها الاجتماعي في بولند، وقد استعير المصطلح من (جورج هيغل)، في اربعينيات القرن التاسع عشر، لوصف فئة متعلمة ومهنية من البرجوازيين الوطنيين الذي اصبحوا قادة روحانيين في بلد خاضع لقوى اجنبية[٢٩] وعادة ما ينظر لمفهوم المثقفين على أنهم أولئك الذي يساهمون في ابتكار ونقل الأفكار من مؤلفين وعلماء وفلاسفة وفنانين، وان كان يصعب التحديد الدقيق لهذه الفئة، في ضوء أنها تضم ذوي الثقافات الراقية، كما تختلط الثقافة بمهن التدريس والصحافة ويؤكد (شلز)، أن المثقف العصري نتاج المجتمع الصناعي، الذي يتسم بالإدارة البيروقراطية الرشيدة في الدولة، أو في الحياة الاقتصادية ومستوى المعيشة المرتفع، وانتظام التعليمي المكثف الذي تقوم فيه الجامعات بمساهمة واسعة في غرس وتكريس الثقة في العلم والبحث، مع دراسة التراث الثقافي، وتأهيل الأشخاص لمهن القانون والهندسة والطب والاقتصاد[٣٠] ولا شك في أن المثقفين كنخبة ترتبط بدور محوري في مجتمعها، وقد يكون دورهم رائداً في مجالات واسعة في قيادة الحزب، في البرلمان والوزارة، ويعود ذلك الى ما يتميزون به من سمات وخصائص علمية وفنية وتنفيذية. إما تحليل (غرامشي)، الاجتماعي للمثقف كإنسان ينجز مجموعة معينة من الوظائف في المجتمع، هو أقرب بكثير إلى الواقع وبخاصة في اواخر القرن العشرين، عندما ثبتت رؤية (غرامشي)، بظهور مثل هذا العدد الكبير من المهن الجديدة من المذيعين، ومحترفي العمل الاكاديمي، والمحللين في مجال الكومبيوتر، والمحامين المختصين بشؤون الرياضة، ووسائل الاعلام والمستشارين الاداريين وخبراء السياسة، ومستشاري الحكومة، وغيرها فكل من يعمل اليوم في أي حقل مرتبط بانتاج المعرفة او نشرها هو مثقف[٣١] ويميز (غرامشي) بين صنفين من المثقفين هما المثقف التقليدي، أي المثقف الذي تكون ثقافته متوارثة عبر الاجيال، مثل الاطباء، والمهندسين والفنانين وغيرهم أي أنهم يمتلكون أيديولوجية متوارثة من جيل إلى آخر، والمثقف العضوي وبحسب (غرامشي)، هو ذلك المثقف الذي يمتلك قدرة فعالة في مواجهة ازمات معينة، ووضع الحلول لها من خلال دراسة الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية

والسياسية، والمثقف العضوي هو الذي يؤثر في توجيهات المجتمع بشكل ايجابي، أي بشكل موضوعي يقع الفائدة، وليس الضرر على افراد مجتمعه اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً[٣٢]. ويرى (غرامشي)، أن المثقف العضوي، هو الذي ينتمي إلى شريحة أو شراح المثقفين الذي يزودون طبقة اجتماعية معينة بتجانسها وبوعي وظيفتها الخاصة لا في المضمار الاقتصادي فحسب، وانما في المضمار السياسي ايضاً، وعليه فإن المثقفين العضويين هم الذي يتولون مهام[٣٣].

أ- تنظيم الوظيفة الاقتصادية للطبقة التي يرتبطون بها.

ب- تبرير الهيمنة التي تمارسها الطبقة السائدة في المجتمع المدني عبر مختلف الهيئات الثقافية.

ج- تنظيم الإكراه الذي تمارسه الطبقة السائدة على سائر الطبقات بواسطة الدولة، حيث يأتي منهم الوزراء وكبار موظفي الدولة.

د- تزويد الطبقة التي يرتبطون بها عضوياً بالوعي بمصالحها وتصورها المتجانس والمستقبل للعالم كل إنسان مثقف إلى حد ما، بمعنى أنه يشارك في رؤيا شاملة، ويشير (غرامشي)، إلى هذا المعنى الواسع للمثقف، عندما يكتب حول تغيير العلاقة بين الجهد العقلي وذلك العضلي في سبيل خلق توازن جديد ونوع جديد من المثقف المنهمك فعلاً في الحياة العملية، جامعاً تقنية الاختصاصي بالعلم وبالإنسانية، ويصبح بذلك قائداً اختصاصياً سياسياً[٣٤]، وبمعنى آخر، فالمثقف العضوي هو مثقف مؤسسي، والتقليدي على علاقة غير مباشرة بالمؤسسات، ويشكل المثقفون جزءاً من نظام الدولة بسبب وضعهم داخل الأجهزة الايدولوجية للدولة، كما أنهم يرتبطون بالمجتمع الدني خمن خلال دورهم كمعبرين اجتماعيين للجماعات الاجتماعية المختلفة، لذلك يمكن عد المثقفين موظفين لدى الدولة، وايضاً معبرين ايديولوجيين للمجتمع المدني[٣٥].

٢- البيروقراطية: يمكن القول أن البيروقراطية تشكل فئة اجتماعية نوعية تشغل المؤسسات الإدارية وهي نتاج نوعي للتأثير في عناصر التكوين الاجتماعي، ونجد ذات الآلية

(الميكانزم) في حالة المثقفين وعلاقتهم بالميدان الأيديولوجي وهو المعنى الأول، والبيروقراطية من ناحية ثانية، هو ذلك النسق التنظيمي الخاص بالأجهزة الإدارية وآلية عملها الداخلية، والذي يتجلى فيه التأثير السياسي والايديولوجي ويتمثل هذا التأثير فيما يسمى بالنزعة البيروقراطية او اشاعة البيروقراطية[٣٦]، وتعني بالمفهوم الواسع رجال الخدمة المدنية والمديرين التنفيذيين، ومديري الصناعات والمشروعات والشركات وموظفي الخدمة ولذا فهي تكتسب أهميتها البالغة، فأي من هذه الفئات لا يمكن اعتبارها على حدة تشكل النخبة، فكلهم يخضعون في النهاية - ومهما كان نفوذهم متزايداً -لرقابة السلطة السياسية مباشرة، وعندما لا تخضع البيروقراطية للسلطه السياسية بدرجة كافي - كما هو الحال في معظم الدول النامية - تبرز مساوئها وتتدهور كفاءتها، مما يؤدي إلى سيادة روح التكنوقراط على عمليات الإدارة، وتسلبها القدرة على رؤية الأهداف الحقيقة وتتضخم البيروقراطية وتصبح جهاز تحكم لا جهاز إدارة[٣٧].

٣- النخبة الدينية: تتشكل النخبة الدينية غالباً من العاملين في الحقل الديني في مجال التشريع والخطابة والتفسير والفقه والعلوم الدينية، أي: علماء الدين وارباب المساجد، ووعاظ الكنائس والمعابد والعاملون في المجال المقدس، انتاجاً لرموزه وتأصيلاً لحركته الروحية في نفوس البشر. وتعرف النخبة الدينية بأنها (فئة تتمتع بقسط متميز من المعرفة الدينية، تؤلها للقيام بعدد كبير من الوظائف الدينية كالإفتاء والقضاء والتعليم، ولها سلطتها العلمية والدينية، ولها نفوذها على باقي الفئات الأخرى، كما لها مصالحها المشتركة وأدوارها)[٣٨]، ويرى (جورج ليند برج)، أن رجال الدين في كل الديانات يمثلون طبقة اجتماعية عاملة، وأهم وظائفها تربية الشباب وتوجيههم وتعليمهم، والحرص على المحافظة على تقاليد المجتمع، والإشراف على ممارستها، وتدعيم القيم والاعراف[٣٩]، ومن المعايير التي تعتمد في تعريف النخبة الدينية درجة التعليم والتحصيل العلمي المعرفي، إضافة إلى الفعاليات الدينية والممارسات الوظيفية الدينية التي تقوم بها هذه النخب الدينية[٤٠]، فالمقدس نسق رمزي - ممثلاً بنخبته الدينية - يعبر عن علاقة الإنسان بالقوى الروحية المتعالية التي تضفي على حياة الإنسان، معنى ودلالة وأهمية، وفي القطب الآخر فإن السياسة ممثلة

بنخبتها الزمنية - تشكل نسقاً من علاقات القوة التي تضع الإنسان في مسار المزامنة التاريخية الملموسة للوجود الإنساني. وفي دائرة هذه العلاقة الجدلية بين المقدس الديني والسياسي الزمني، تنظيم الحياة الإنسانية وترتسم جدليتها التاريخية في دورة من الوحدة والانفصام في توجيه الحياة السياسية للمجتمعات السياسية الإنسانية.

ثانياً: النمط العسكري للنخبة السياسية

إن دراسة هذا النمط من النخبة تشير الى الجيش، والذي فرض نفسه كبديل للنخبة الحاكمة في بلدان العالم الثالث، وهو ما يختلف عن دور الجيش كجماعة ضغط للدفاع عن مطالبها ومصالحها والمعيار الذي يتحدد على أساسه نوع الحكم (عسكرياً او مدنياً)، يعني تولي نخبة عسكرية مقاليد الأمور، وقيام الجيش بدور رئيسي في ممارسة السلطة أو الهيمنة على الهيئات والمؤسسات الحيوية في الدولة، وهذا المفهوم يختلف عن المجتمع العسكري، الذي تحكمه الروح العسكرية وتسود كافة نواحي الحية فيه[٤١]، أن حكم النخبة العسكرية اصبح من السمات البارزة في الدول النامية، نظراً لشيوع ظاهرة الانقلابات العسكري، باعتبارها شكلاً من أشكال التغيير السياسي العنيف المرتبط بالتغيير الحاد، الذي تشهده تلك المجتمعات، فالنخب الحاكمة في البلدان النامية تصبح عرضة للسقوط عن طريق الانقلابات العسكرية، كلما فشلت في التكييف مع الاحتياجات المتزايدة، أو عجزت عن تلبية رغبات سيل الطلبات والتنظيمات الجديدة المنبثقة من الداخل والوافدة من الخارج على حد سواء[٤٢]. ولا شك أن مهام المؤسسة العسكرية التي يحددها لها المجتمع لخدمة اهدافه وحماية مصالحه تتفق واتجاه تفوق السلطة المدنية، التي يطرحها المجتمع القومي، والقائم على أن القوة العسكرية يكون عليها أن تفعل ما تحدده السلطة المدنية فقط[٤٣]، وهكذا تشهد المجتمعات المتقدمة تدخلاً محدوداً من جانب العسكريين، ويقتصر على تأييدهم لسياسات الدفاع والخارجية وتخضع المؤسسة العسكرية في الدول الغربية للدولة كمؤسسة، وفي الدول الشيوعية يعتبر سمو السلطة المدنية أمراً غير قابل للجدل، فالحزب هو الصانع الرئيسي للقرار[٤٤]، ونظر لأن ظاهرة الانقلابات العسكرية السائدة في الدول النامية لا تشكل ظاهرة منفصلة من مجمل التغييرات التي يشهدها المجتمع، ولا تتم بمعزل عن مجموع الظروف المادية التي تحيط بالمؤسسات العسكرية في تلك المجتمعات، فقد جرت محاولات عديدة لتفسير هيمنة العنف السياسي والاجتماعي بمختلف انواعه، ومن ضمنها الانقلابات العسكرية[٤٥]

إن ظاهرة التدخل العسكري، لا يمكن تفسيرها استناداً إلى عامل واحد، وانما هي تفرض قدراً كبيراً من الشمول، فهي نتيجة التدخل العسكرين لا يمكن تفسيرها استناداً إلى عامل واحد، وانما هي تفرض قدراً كبيراً من الشمول، فهي نتيجة لتشابك عوامل عديدة ومعقدة (تاريخية، سياسية، اجتماعية، اقتصادية)، وعادة ما يشار إلى ان المؤسسة العسكرية في الدول النامية، على أنها جسد تنظيمي واحد، ولكنها ليست كذلك فكرياً، إذ إنه في مراحل وأوضاع معينة تتم الحركة السياسية بواسطة جزء من افرادها وقيادتها، ويتم تطهير جزء آخر لظهور التناقضات الفكرية، التي تعبر عن تناقضات اقتصادية واجتماعية وسياسية(٤٦).

المطلب الرابع

تنقلات نظريات النخبة السياسية

يتحدث باريتو عن تنقلات النحبة والتي تتم في اطارها عملية إعادة توزيع الشريحة القائدة والشريحة المنقادة مع الحفاظ على تقسيم الى شريحتين الأساسيتين: النخبة وغير النخبة. لقد كتب باريتو بهذا الصدد مبيناً، أن النخبة الحكومية وتحت تأثير تنقلات النخبة تبدو في حالة تبدل بطيء ولكنه مستمر في الوقت نفسه كتبدل النهر باستمرار بحيث أن لا النخبة الحكومية اليوم ليست هي نفسها النخبة الحكومية بالأمس(٤٧). وهناك من وقت لأخر شكل من اشكال الاضطرابات السريعة والعنيفة التي تشبه اضطرابات النهر تنتهي عادة بتبدل النخبة الحكومية القائمة ليعاود النهر دخوله بعد ذلك الى مجراه من جديد ويبدأ بالجريان والتبدل مرة أخرى بشكل منتظم(٤٨) وهكذا فان الثورة تحصل في اطار هذا التبدل الذي يتم داخل النخبة الحكومية، وهي تحصل عند حدوث تباطؤ في تنقلات النخبة، وقد تحصل تحت تأثير أسباب أخرى، كتراكم عناصر ذات كفاءة متدينة داخل الشريحة العليا، وقد لا تمتلك هذه العناصر الرواسب القابلة لتثبيت هذه الشريحة العليا في السلطة وقد تفضل في الوقت نفسه، تماشي اللجوء الى استعمال القوة في الوقت الذي تتطور فيه داخل الشريحة الدنيا عناصر ذات كفاءة عالية تمتلك الشروط الضرورية لممارسة الحكم وتكون مستعدة لاستعمال القوة لتحقيق ذلك(٤٩) ثم يضيف بأن الثورة تحدث عندما يظهر داخل الشريحة المحكومة عدد معين من الافراد المستعدين لاستخدام القوة وزعماء قادرون على قيادتهم لتفقد عندها الشريحة الحاكمة سلطتها وتحل محلها شريحة أخرى(٥٠). ويؤكد (جان بييركوت)، و (جابييرمونيه)، أن باريتو ينظر الى الأمر، على أنه حركة دورية دائمة يحركها الصراع الذي تطلقه الدهماء والقوة

بشكل دائم لقد كتب باريتو مفترضاً أنه عندما توجد في بلد ما الطبقة الحاكمة (أ) التي تضم أفضل العناصر من كل السكان من وجهة نظر لخديعة، فأن الطبقة المحكومة (ب)، في هذا البلد ستبدو في مثل هذه الظروف محرومة من جزء كبير من هذه العناصر مما يقلل أو يلغي أي أمل لها في قهر الطرف (أ)، طالما أن الصرع الدائر بينهما يدور اساساً عن طريق الخريطة. واذا ما كانت الخديعة مصحوبة بالقوة فان هيمته الطرف (أ) ستكون ابدية، ولكن هذه حالة عدد صغير من الرجال، أما بالنسبة للغالبية فان الذي يستخدم الخديعة هو أول كفاءة في استخدام القوة ويصبح هذا الاستخدام دائماً أقل والعكس بالعكس، ومن ثم فاذا ما تراكم في الطرف (أ) أناس يعرفون جيداً استخدام الخديعة فان النتيجة ستتمثل بتراكم أناس في الطرف (ب)، أكثر كفاءة في استخدام القوة [٥١] واستمرار الحركة بهذه الطريقة. يجعل التوازن غير ثابت طالما أن افراد الطرف (أ) استخدموا الخديعة، ولكن تنقصهم الشجاعة لأستعمال القوة، بالإضافة الى الأدوات الضرورية اللازمة لهذا الاستعمال في حين أن افراد الطرف (ب)، يمتلكون الشجاعة والأدوات اللازمة لها، ولكن يعوزهم استخدامها، واذا ما استطاع أفراد الطرف (ب)، العثور على رؤساء يمتلكون مثل هذا الفن، والتاريخ يعلمنا بأن هؤلاء يأتون عادة من بين المنشقين على افراد الطرف (أ)، فيمتلك الطرف (ب)، كل ما يلزمه لضمان النصر وطرد أفراد الطرف (أ)، من السلطة، أما باقي السكان ممن يكونون افراد الطرف (ج)، فسيتم استخدامهم بوصفهم الجمهور اللازم للقيادة بالمناورة التي يقوم بها هذا المعسكر أو ذاك للانتصار على خصمه[٥٢]. أما المفكر الألماني (روبرتو ميشيلز)، فقد انطلق في فكرة السياسي من الايمان بنظرية تنقلات النخبة التي قال بها باريتو من قبل ووصفها (ميشيلز)، بأنها من أعظم نظريات فلسفة التاريخ في العصور الحديثة، وإن كان قد عدلها بالشكل الذي يتفق مع آرائه الخاصة فقد ذهب الى الاعتقاد بان تنقلات النخبة، لا تعني التبديل في النخب، فبدلاً من الاختفاء او الهبوط الى حالة البروليتاريا تكون الاستقراطيات القديمة مرغمة على اشراك الطموحين الصاعدين من الدرجات الدنيا في السلطة معها[٥٣]. ولكن هذ الارستقراطيات تبقى في كل الأحوال صاحبة السلطة على الرغم من محاولتها لتمييع قوتها عن طريق منح المنصب لمن يأتون من خارج صفوفها. ويرى (ميشيلز)، أن الطبقة الحاكمة لا تسقط الى الحفيض حتى عندما تتدهور أحوالها، وانما يتوقف سقوطها عند نقطة معينة تضطر عندها الى التواري عن الأنظار لبعض الوقت لحين تحسن تلك الأحوال لتعود مجدداً الى احتلال مركزها السابق[٥٤]. وبذلك كان (ميشيلز)، شديد الثقة

بمواهب الطبقات العليا وسيء الظن بالجماهير. إلا ان هذه الآراء لم تشكل في الواقع أساس شهرة (ميشيلز) وانما تعود شهرته الى تنظير لما سمي بـ (قانون حكم القلة الأوليكارشية الحديدي).

وللكشف عن واقع هؤلاء السياسيين المحترفين، يرى (ماكس ويبر)، إمكانية تعاطي النشاط السياسي بأشكال مختلفة هي[٥٥].

١- شكل عابر يمارسه من يتعاطى السياسة عند حدوث مناسبة كالتصويت في الانتخابات العامة.

٢- شكل ثانوي يمارسه من يتعاطى دور الشخص الموالي للحزب، لكنه لا يمارس النشاط السياسي الا عند الحاجة ودون أن يجعل من هذه الممارسة كل حياته، لامن الناحية المادية ولا المعنوية ولا المهنية.

٣- شكل أساسي يمارسه من يتعاطى السياسة كمهنة لا يمارس أخرى سواها، ومن هؤلاء تتكون عادة هيئة المعاونين المكرسين لخدمة القائد بشكل كلي، وعلى سبيل الحصر لتكون السياسة مهنتهم الأساسية.

ويؤدي تعاطي النشاط السياسي بشكل عابر الى وجود (سياسي المناسبة)، أما تعاطي النشاط السياسي بشكل ثانوي فيؤدي الى وجود (السياسيين الثانويين)، بينما يؤدي تعاطي النشاط السياسي بشكل أساسي وجود (السياسيين المحترفين). ويرى (رايت ميلز)، أن نخبة السلطة تتكون ممن يكونون في مراكز ضع القرارات ذات النتائج المهمة وتمكنهم مراكزهم هذه من الترفع أو التفوق على الأوساط الأعتيادية أو الرجال والنساء العاديين، ولا يهم أن كانت هذه النخبة تضع تلك القرارات فعلاً أو لا تضعها، انما المهم هو حقيقة ان أفرادها يشغلون هذه المراكز المحورية، وقدرتهم على ضع القرارات أو المشاركة في صنعها هي بحد ذاتها فعل يقترن بنتيجة قد تفوق في أهميتها القرارات التي يضعونها أو يتخذونها [٥٦]. ولكن نخبة السلطة هذه لا تشكل طبقة اجتماعية وانما تشكل مجموعة مراكز، وبهذا المعنى فان نخبة فان السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية تتضمن ثلاث مؤسسات سياسية تضم كلا من[٥٧]:

١- الجيش الذي يصفه (ميشيلز)، بأنه دولة داخل دولة؛ لأنه وبموجب طلباته التي ينقلها الى ميدان الصناعة ودوره في البحث النووي والتطوير التقني يصبح أكثر فأكثر استقلالاً وأقدر على صنع سياسة خاصة به وتنفيذها.

٢- المؤسسة الصناعية التي تضم قادة المشاريع الصناعية الضخمة التي تشكل امبراطورية دولية حقيقية، يحاول قادتها التفكير، بأن مصالح الأمة تختلط بمصالح شركاتهم العملاقة، الأمر الذي يعكسه ويعبر عنه التصريح الشهير الذي أطلقه (شارلس آروين ويلس)، الرئيس السابق والمدير العام لشركة (جنرال موتورز)، وقال فيه أن ما هو جيد لشركة جنرال موتورز جيد للولايات المتحدة الأمريكية.

٣- المؤسسة السياسية اليت تضم الشريحة العليا من المسؤولين السياسيين في الإدارة الأمريكية:

الرئيس، المعاونون، أعضاء الإدارة، وقادة الكونغرس.

وما يكون حقيقة السلطة في نظرا (رايت ميلز)، هو وحدة هذه المؤسسات الثلاثة بفعل الروابط القائمة بين أعضائها، نتيجة ما ينشأ بينهم من العلاقات الشخصية ليتم الانتقال بكل سهولة من مؤسسة الى أخرى سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أو خارجها.

الخاتمة والاستنتاجات:

يعتبر موضوع النخبة السياسية من المواضيع التي اصبحت تحظى باهتمام كبير من طرف الباحثين سواء في مجال السوسيولوجيا أو العلوم السياسية، ويبقى مفهوم النخبة السياسية واحداً من المفاهيم الدينامية التي تتميز بطابع الانفتاح الشامل والدائم على مختلف المحاولات العلمية التي كرست وتكرس لرصده، ومثل هذا المفهوم صوراً مهمة ضمن النظريات السياسية في الفكر السياسي الغري المعاصر، وأخذ مكانه في دائرة عملية صنع القرار السياسي والتحولات الاجتماعية، فمفهوم النخبة يعبر عن صراع سياسي شديدة التغير، وبالتالي، فأن عملية ضبط المفهوم تحتاج الى يقظه علمية مستمرة ودائمة للكشف عن معطياته ومستجداته. وتخضع النخبة بشكل عام الى قوانين التبدل والتغير حسب المتغيرات داخل البيئة الاجتماعية العامة التي تتواجد فيها وتختلف هذه النخب حسب طبيعة الدور

الذي تمارسه وطبيعتها التكوينية، فتظهر هناك نخب اجتماعية تهتم وتعمل في اطار البنى الاجتماعية وهنالك الاقتصادية وكذا الثقافية. وتعد النخب السياسية هي النخبة المسيطرة والمتحكمة بشكل كبير نسبياً في حركة النخب الاخرى والجماهير عموماً بسبب سيطرتها على النظام السياسي الذي تمثل قمة الهرم فيه عادة. ولقد حاولنا عبر هذه الدراسة أن نكشف اللثام عن أبعاد نظريات النخبة السياسية بمفردة وجمعه وقدمنا رؤية لهذه النظريات، ومن ثم عملنا على استجلاء أهم النظريات الفكرية الكبرى في هذا المجال عند (باريتو، موسكا، ميلز)، وغيرهم من المنظرين، وقد حرصنا على تقديم رؤية مقارنة بين منظري النخبة فتم لنا الكشف عن أوجه التباين والاتفاق بين رؤاهم الفكرية ونظرياتهم النخبة. واتضح لنا من خلال هذه الدراسة، أنه باستطاعة نظريات النخبة السياسية إزالة الأزمات السياسية، عن طريق إحلال الصفات الايجابية في داخل النخبة ذاتها، ومن ثم إشاعتها ثقافة سياسية وسلوكاً بما يضمن ديمومة الحياة السياسية.

هوامش البحث

(١) د. ثروت مكي، النخبة السياسية والتغيير الاجتماعي (تجربة مصر من ١٩٥٢م – ١٩٦٧)، ط١، (القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠٥م)، ص٢٠.

(٢) هدى حافظ متكيس، النخبة السياسية في تونس، (١٩٥٦م – ١٩٧٠م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨١م، ص ٦٦– ٦٧.

(٣) جورج لينشوفسكى، الصفوة السياسية في الشرق الأوسط، ترجمة: د. عادل مختار الهواري، (القاهرة، دار الموقف العربي، ١٩٨٧م)، ص ٢٤.

(٤) جوليان فروند، باريتو، ترجمة: منى النجار، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات النشر، ١٩٧٩م)، ص٤٦.

(٥) حسن صعب، علم السياسة، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٦م)، ص٥٦.

(٦) توم بوتومور، الصفوة والمجتمع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م)، ص٣١.

(٧) جوليان فروند، مصدر سابق، ص٥٤.

(٨) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٩) جون سكوت، علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩م)، ص٣٦٠.

(١٠) إبراهيم أباظة، عبد العزيز غنام، تاريخ الفكر السياسي، (بيروت، دار النجاح، ١٩٧٣م)، ص٧٦.

(١١) مولد زايد الطبيب، علم الاجتماع السياسي، (بنغازي، دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٧م)، ص١٩٣.

(١٢) جان توشارد وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: علي مقلد، (بيروت، الدار العالمية، ١٩٨١م)، ص٨٦.

(١٣) جيرار ليكرك، سوسيولجيا المثقفين، ترجمة: جورج كنورة، (بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٨م)، ص٦٣.

(١٤) كارل ماكس، فردريك انجلز، الأيدلوجيا الألمانية، ترجمة: فؤاد أيوب، (دمشق، دار دمشق، د.ت)، ص٤٠.

(١٥) هدى حافظ متلكيس، مصدر سابق، ص٣٦.

(١٦) توم بوتومور، النخبة والمجتمع، ترجمة: جورج جما، ط٢، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨م)، ص٢٥.

(١٧) د. حسن قرنفل، المجتمع المدني والنخبة السياسية (اقصاء ام تكامل؟)، (الدار البيضاء، افريقيا الشرق، ٢٠٠٠م)، ص٣.

(١٨) جورج لينشوفسكي، مصدر سابق، ص٢٤.

(١٩) د. حسن قرنفل، مصدر سابق، ص٤.

(٢٠) جوليان فروند، مصدر سابق، ص٥٢.

(٢١) عبد الرحمن الزنيدي، المثقف العربي بين العصرانية والاسلامية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، ٢٠١٢م، ص٢٣.

(٢٢) جان توشارد واخرون، مصدر سابق، ٥٨.

(٢٣) ابراهيم كبه، دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، (بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٧٠م)، ص٣٦.

(٢٤) بيير سويدي، الماركسية بعد ماركس، ترجمة جورج طرابيشي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٥م)، ص٧٢.

(٢٥) توم بوتومور، علم الاجتماع السياسي، ترجمة: وميض نظمي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٦)، ص١٣.

(٢٦) د. ثروت مكي، مصدر سابق، ص٤١.

(٢٧) د. مايسة الجمل، النخبة السياسية في مصر (دراسة حالة النخبة الوزارية)، ط١، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣م)، ص٢١٢.

(٢٨) مصطفى مرتضى علي محمود، المثقف والسلطة،(القاهرة، دار قباء للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م)، ص٥٢.

(٢٩) ادوارد سعيد، صور المثقف، ترجمة: غسان غصن، ط٣، (بيروت، دار النهار، ١٩٩٧م)، ص٣٣.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٢٦.
(٣١) بشير اسوادي عبد علي، الفكر السياسي عند غرامشي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠١٤م)، ص١١٩.
(٣٢) نقلاً عن، عبد الرضا حسين الطعان، عامر حسن فياض، علي عباس مراد، اشكالية السلطة في تأملات العقل الضريبي عبر العصور، ط٢١، (بغداد، دار الكتب والوثائق، ٢٠١٢م)، ص٤٧٢.
(٣٣) جاك ماك بيوتي، فكر غرامشي السياسي، ترجمة: جورج طرابيشي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٥م)، ص٢٣ وما بعدها.
(٣٤) نقلاً عن، نادية رمسمس فرح، غرامشي وقضايا المجتمع المدني، (دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، ١٩٩١م)، ص٣٢٤.
(٣٥) المصدر نفسه، ص٣٢٣.
(٣٦) جان توشارد واخرون، مصدر سابق، ص٩٥.
(٣٧) د. ثروت بدوي، مصدر سابق، ص٤٤-٤٥.
(٣٨) فضل حضري، تشكل النخبة الدينية في الجزائر، اطروحة دكتوراه (غير منشوره)، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، ٢٠١٣م، ص٥٦.
(٣٩) حسين عبد الحميد رشوان، الدين والمجتمع (دراسات في علم الاجتماع الديني)، (مصر، مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٤م)، ص١٤٦.
(٤٠) فضيل حضري، مصدر سابق، ص١٠٣.
(٤١) د.ثروت بدوي، مصدر سابق، ص٤٧.
(٤٢) كمال المنوفي، اصول النظم السياسية المقارنة، (الكويت، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)، ص٧٥.
(٤٣) د.ثروت بدوي، مصدر سابق، ص٤٧.
(٤٤) كمال المنوفي، مصدر سابق، ص٧٠.
(٤٥) جان توشارد واخرون، مصدر سابق، ص٦٦.
(٤٦) د. ثروت بدوي، مصدر سابق، ص٤٨.
(٤٧) جوليان فروند، مصدر سابق، ص٥٢.
(٤٨) جون ديوي، الفردية قديماً وحديثاً، ترجمة: خيري حماد، (بيروت، مكتبة دار الحياة، ١٩٧٩م)، ص١٠٦.
(٤٩) المصدر نفسه، ص ٧٦.
(٥٠) جوزيبي بريتزوليني، حياة مكيافيللي الفلورنسي، ترجمة: طه فوزي، (القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٤م)، ص٤٥.
(٥١) كمال المنوفي، مصدر سابق، ص٨٠.

(٥٢) توم بوتومور، الصفوه والمجتمع، مصدر سابق، ص٢٣.
(٥٣) المصدر نفسه، ص٤١.
(٥٤) جاك ماك بيوتي، مصدر سابق، ص٧٢.
(٥٥) جوليان فروند، مصدر سابق، ص٥١.
(٥٦) د. مايسة الجمل، مصدر سابق، ص٤٥.
(٥٧) جيرارد ليكرك، مصدر سابق، ص٦٢.

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم أباظة، عبد العزيز غنام، تاريخ الفكر السياسي، (بيروت، دار النجاح، ١٩٧٣م)، ص٧٦.

٢. ابراهيم كبه، دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، (بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٧٠م)، ص٣٦.

٣. ادوارد سعيد، صور المثقف، ترجمة: غسان غصن، ط٣، (بيروت، دار النهار، ١٩٩٧م)، ص٣٣.

٤. بشير اسوادي عبد علي، الفكر السياسي عند غرامشي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠١٤م)، ص١١٩.

٥. بيير سويدي، الماركسية بعد ماركس، ترجمة جورج طرابيشي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٥م)، ص٧٢.

٦. توم بوتومور، علم الاجتماع السياسي، ترجمة: وميض نظمي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٦)، ص١٣.

٧. ــــــــــــــــ، الصفوة والمجتمع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م)، ص٣١.

٨. ــــــــــــــــ، النخبة والمجتمع، ترجمة: جورج جما، ط٢، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨م)، ص٢٥.

٩. د. ثروت مكي، النخبة السياسية والتغيير الاجتماعي (تجربة مصر من ١٩٥٢م - ١٩٦٧)، ط١، (القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠٥م)، ص٢٠.

١٠. جاك ماك بيوتي، فكر غرامشي السياسي، ترجمة: جورج طرابيشي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٥م)، ص٢٣ وما بعدها.

١١. جان توشارد وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: علي مقلد، (بيروت، الدار العالمية، ١٩٨١م)، ص٨٦.

١٢. جورج لينشوفسكى، الصفوة السياسية في الشرق الأوسط، ترجمة: د. عادل مختار الهواري، (القاهرة، دار الموقف العربي، ١٩٨٧م)، ص ٢٤.

١٣. جوزيبي بريتزوليني، حياة مكيافيللي الفلورنسي، ترجمة: طه فوزي، (القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٤م)، ص٤٥.

١٤. جوليان فروند، باريتو، ترجمة: منى النجار، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات النشر، ١٩٧٩م)، ص٤٦.

١٥. جون ديوي، الفردية قديماً وحديثاً، ترجمة: خيري حماد، (بيروت، مكتبة دار الحياة، ١٩٧٩م)، ص١٠٦.

١٦. جون سكوت، علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩م)، ص٣٦٠.

١٧. جيرار ليكرك، سوسيولجيا المثقفين، ترجمة: جورج كنورة، (بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٨م)، ص٦٣.

١٨. حسن صعب، علم السياسة، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٦م)، ص٥٦.

١٩. د. حسن قرنفل، المجتمع المدني والنخبة السياسية (اقصاء ام تكامل؟)، (الدار البيضاء، افريقيا الشرق، ٢٠٠٠م)، ص٣.

٢٠. حسين عبد الحميد رشوان، الدين والمجتمع (دراسات في علم الاجتماع الديني)، (مصر، مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٤م)، ص١٤٦.

٢١. عبد الرحمن الزنيدي، المثقف العربي بين العصرانية والاسلامية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، ٢٠١٢م، ص٢٣.

٢٢. فضل حضري، تشكل النخبة الدينية في الجزائر، اطروحة دكتوراه (غير منشوره)، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، ٢٠١٣م، ص٥٦.

٢٣. كارل ماكس، فردريك انجلز، الأيدلوجيا الألمانية، ترجمة: فؤاد أيوب، (دمشق، دار دمشق، د.ت)، ص٤٠.

٢٤. كمال المنوفي، اصول النظم السياسية المقارنة، (الكويت، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)، ص٧٥.

٢٥. د. مايسة الجمل، النخبة السياسية في مصر (دراسة حالة النخبة الوزارية)، ط١، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣م)، ص٢١٢.

٢٦. مصطفى مرتضى علي محمود، المثقف والسلطة، (القاهرة، دار قباء للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م)، ص٥٢.

٢٧. مولد زايد الطبيب، علم الاجتماع السياسي، (بنغازي، دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٧م)، ص١٩٣.

٢٨. نقلاً عن، عبد الرضا حسين الطعان، عامر حسن فياض، علي عباس مراد، اشكالية السلطة في تأملات العقل الضريبي عبر العصور، ط٢١، (بغداد، دار الكتب والوثائق، ٢٠١٢م)، ص٤٧٢.

٢٩. نقلاً عن، نادية رمسمس فرح، غرامشي وقضايا المجتمع المدني، (دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، ١٩٩١م)، ص٣٢٤.

٣٠. هدى حافظ متكيس، النخبة السياسية في تونس، (١٩٥٦م - ١٩٧٠م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨١م، ص ٦٦- ٦٧.